نافذة

خانوا سورية

خانوها أرضاً وشعباً، حكومةً وقيادةً، بعد أن كانت المعاهدات الصداقية توقع كل صباح، كل مساء على الإفطار، والغداء والعشاء، كان كل شيء على أكثر مما يرام، علاقات ودية، راقية، وزاهية، وأنيقة، ودقيقة، حتى أشد المتفائلين، لم يكن ليحلم أن تصل إلى ما وصلت إليه مع قطر وتركيا، وحتى مع السعودية التي شاب علاقاتنا معها الضباب إلى حين أن حدث اللقاء في الكويت، ومن ثم زيارة المغفور له لدمشق، ومنها إلى بيروت لبنان، يداً بيد، كان الشبك، ووصلت الأمور إلى حد لو ترشح الرئيس بشار الأسد في تركيا أو قطر، لكان هناك الرئيس رئيساً أو أميراً، وبلا منازع والعكس كان صحيحاً، حتى الحريري، الابن برأ سورية، قيادةً وقائداً وشعباً من دم أبيه، والذين كانوا معه، بمن فيهم جنبلاط صاحب مفردة التخلي الدائم، والتي تعني اللعب على الحبال، أشادوا وأيدوا وهتفوا لسورية، الهرم الشامخ، العنيد والعتيد إطراءات وتعهدات، وكما أسلفت قادة من شدة مشاهد الود، الذي كان بينهم، لا تصدق، فما الذي حصل.

أعتقد جازماً، أن الذي جرى مع سورية، يشابه تماماً ذاك الذي حصل مع ستالين رئيس الاتحاد السوفييتي، وهتلر ألمانيا النازية، قبل الحرب العالمية الثانية، حيث أنجز الود بين ستالين وهتلر، اتفاقية عدم اعتداء، ووقّع الطرفان عليها وتعهدا بعدم الاعتداء أو المشاركة في اعتداء على أي منهما، أو التحالف مع عدد حقيقي أو افتراضي، وبلغ النص من القوة والعاطفة حداً كاد لا يصدقه أحد، كان هذا في عام ١٩٣٩، ودامت عامين ونيفاً هذه العلاقة، والاتفاقية تحدث عنها روجر وودهاوس في كتاب حلف الشياطين؟

وفي ٢٢ حزيران ١٩٤١، هاجم الألمان طول الأراضي السوفييتية وعرضها من البحر الأسود، وحتى سواحل البالطيكونا ملايين الجنود الهتلريين، آلاف الدبابات، مئات الطائرات النازية اخترقت حدود السلام، وتم إنزال وحدات تخصصية عملت في عمق الأراضي السوفييتية، مهمتها زرع الفتنة وتشكيل خلايا وجيوب على شكل عصابات، تخرب خطوط الاتصال والسكك الحديدية، ومن ثم استدعى وزير خارجية ألمانيا الهتلرية السفير السوفييتي في برلين، ووجّه له خطاباً شديد اللهجة وقراراً بأن قوات هتلر قررت صد عدوان الجيوش السوفييتية، لما وصل الخبر إلى ستالين، لم يصدق ما قاله هتلر، حتى إنه طلب بداية تكذيب كل ما يشاع في الإذاعات، ومن ثم أدرك أن الخيانة من هتلر كانت مرعبة وأليمة، وقرر الرد العنيف، والذي دام أربع سنوات، لينتصر الحق على الباطل، ويرسل ستالين قائد جيوشه جوكوف، ليوقع مع أحد قادة هتلر اتفاقية استسلام ألمانيا، وإذلالها بعد انتحار هتلر في ٩ أيار ١٩٤٥، وبعد شهرين توقّع اليابان ذات الاتفاقية.

لماذا عنونت ما أخطه (خانوا سورية)؟، وأوردت حادثة خيانة هتلر لستالين، وتحدثت عن تلك العلاقات، التي كانت قائمة مع من ذكرتهم حداً فاق تلك الاتفاقية بكثير جداً، ليتبين لاحقاً أنهم كانوا على مكر وخديعة يخططون، ويستعينون حقيقة بالشيطان بحكم أنهم شياطين، لأن سورية في نظرهم الحامل الرئيس، لفكر العروبة، ومشروع النهضة العربية، وأيضاً يتحدثون دائماً أنها، لم تدفع الضريبة التاريخية، التي ينبغي عليها دفعها، وهذا هو العامل الرئيس، الذي دعاهم لضرب ليس سورية فقط، وإن كانت جوهر أهدافهم، بل كل الدول التي تناهض مشروعهم الإخواني الوهابي خيانات عربية عربية، وعربية إسلامية، كلما سنحت الفرصة للخيانة تجدهم يفعلونها رغم استظلالهم، فيكيدون المكائد، ويندفعون كالثيران الهائجة، يحلفون بأغلظ الأيمان، ويقسمون، يتعاهد الضعف على القوة، ويستعين بقوى الاعتداء، التي تطول الجميع في النهاية من دون استثناء عن وعي أو من دونه.

الإشكال التاريخي المصنع منذ قرن تقريباً مازال يحمله العدو الأول والأخير لشعوب العالم الثالث هو العالم الأول، وبشكل خاص لشعوب الأمتين العربية الإسلامية، والإسلامية، ذاك العدو الذي استخدم البعض من الأعراب كأدوات من أجل استنفاد ثرواته عبر إلهائه بإشراكه بالمكائد والأشراك في حروب جانبية وهامشية، ودفعه لصياغة المؤامرات والأحقاد، ورميها بين شعبه وشعوب أشقائه وأصدقائه في العروبة والإسلام.

من منا لا يذكر رواية لافونتين المتحدثة عن المتسبب في إحداث عكر صفاء النبع وبحرته الجميلة، هي هكذا كما سورية الهادئة الوادعة الأمينة والآمنة، وكيفية غزو الذئاب لمساحاتها، وتعكير صفو عيشها وحياتها والجدلية التاريخية، فتحدث عن أن بلداً بلا ذئاب إنما هو بلد بلا أساطير ولا قصص، فالإنسان والذئب عاشا معاً، فالقوى متصارعة بدءاً من داخل الإنسان إلى أن يوحدها، فيغدو المصير واحداً والقوة واحدة، وعندما ترى في المنام ذئباً فاعلم أن أحداً ما، بدءاً من أقاربك وإلى ذاك البعيد، أن الكيد يكاد، ومنه نصل إلى وضع أسس ومعايير للأسئلة الكبيرة، التي تشاغل فكر كل إنسان سوري شريف وعربي محب لسورية، والذي عنوناه، لماذا خانوا سورية.

د.نبيل طعمة

«هدنة» ... البحث في الأسباب والنتائج وفيما وراء الكلمة وصولاً لحلّ

الخطيب: أردتها هدنة تؤدي إلى سلام دائم

الأزروني: لدينا مشكلة حقيقيّة اليوم تتجلى ببناء الغد

عامر فؤاد عامر

الانتظار هو البعد الأوّل الذي أرادته «هدنة»، فأنّ أنتظر يعني أن أتأمل، ما الذي يجري معي؟ وما الذي يدور حولي؟ وفي الانتظار توقٌ لملامسة جانب من الماضي، وآخر من المستقبل، فأنا أجول في خفايا تخصّني؛ وأوصلتني للحظة الحاضرة، وفي الوقت نفسه أهتم لساعات سلام قادمة، تدفع بي لبناء مستقبل الأيّام، والتي أعرفُ من خلالها أين أنا؟. هذا هو الميزان الذي أراده عرض «هدنة»، والذي خاض بالمتلقي بأن يعيش عصفاً من ذكرياته مع دمشق القديمة، هذه المدينة التي تهم أيّ إنسان عاش فيها، أو بالقرب منها، أو زارها، ولو لمرّة، أو سمع بها، فدمشق تعني: أنا، المتلقي، ويعني أنا، الابن السوري، ومن هنا قدّمت مسرحيّة «هدنة» إثارة لمشاعر بمواصفات جاءت بين البداية، والآنيّة، وتطلّع نحو المستقبل.

حكاية بسيطة

يروي العرض- باختصار- حكاية بسيطة عن مهندس طموح، متخرج حديثاً في كلية الهندسة، ويلتحق بخدمة الوطن، الذي يتعرض لأزمة وحرب لا يمكن تجاهلها، بالتالي آمال هذا الشاب توقفت، لأنه في مكان لا يسمح له بتنفيذ أيّ شيء مما كان يحلم به وهو طالب، كبناء مسكنه الذي يشترك به مع حبيبته، وأثناء هذه المرحلة القاسية، يبدأ بتذكر مفاصل من حياته هو والحبيبة، وهي مفاصل أو صفحات لها علاقة بأهله وأهلها، وما نتج عن ذلك. والحكاية أيضاً هي همّ ووجع سوري يخص بمباشرة أكيدة شريحة الشباب الذي تخلى عن كلّ ما يخصّه للالتحاق بخدمة الوطن والدفاع عنه، ومع مرور سنوات بدأت تتضح معالم الانتظار القاسي والصعب، لأن لغة الانتظار أصبحت تقاس بالسنوات، وهذا ينبئ بحسب هلع الإنسان، بأن الطموحات والرغبة في الإنجاز قد ضاعت أو على الأقل في مرحلة من التدهور. بين هذه الاختصارات سيعيش المرء لحظات تفكر تجعله أكثر بحثاً عن أسباب التعب الذي جثم على كاهلنا، وهذا أحد الأبعاد التي رمى إليها العرض، فما وصلنا إليه لم يكن وليد مصادفة، بل هو نتاج واضح لأفكار وأعمال قام بها جيلٌ سابق لجيلٍ حالي، فهدنة هنا أصبح لها معنى أعمق من حيث الإشارة إلى أسباب المشكلة التي علق بها الإنسان السوري، فلا يمكن لوم أيّ جهة أو مؤسسة عشوائياً هكذا، بل يجب لوم دواخلنا، وما يؤلف أسرنا، ومجتمعنا، لأن الجميع اشترك في جملة الأخطاء، والتي هي الأسباب التي أودت بشريحة الشباب أن يكونوا بهذا المكوث على الجبهة، مغادرين أحلامهم، وآمالهم الخاصّة.

في الأداء المسرحي

اجتهد الممثلون في تقديم ما يلزم من انسجام جماعي، ليخدم لغة النصّ والإخراج، ولا يمكن رمي الانتقادات السلبيّة جزافاً لأن في ذلك تطرفاً، فالجميع أدّى بمستوى جيد، إذا ما منحنا العرض علامة جماعيّة، ولكن الحقّ يقال إن الأداء الفردي لم يكن بنفس المستوى، وعلى سبيل المثال جماليّة المشاهد التي أدتها الفنانة «رنا جمّول» والفنان «جمال نصّار» وأقصد ما يخص المشاهد العاطفيّة التي مثلت الماضي، وأبناء جيل الآباء، إن صح التعبير كما وضّحت لنا المسرحيّة التي كانت أكثر إتقاناً للمشاهد التي قدمتها الفنانة «نسرين فندي» والفنان «يامن سليمان» اللذان يمثلان أبناء جيل الشباب الحالي، وعلى الرغم من العمر المتقدّم لدى «رنا وجمال» إلا أنهما جسداه كما لو أنهما يافعين وصغار في السنّ.

فيروز معنا

قبيل العرض كان لصوت فيروز حضور مهم بين الزائرين، ويبدو أن التركيز على جملة تؤديها في أغنيتها «أنا فزعانة» من ألبوم «بيذكر الخريف» هو المقصود المباشر، بدلالة انطلاق هذه الجملة مع ختام العرض، بعد صمت الممثلين وجمود الصورة الأخيرة المفتعل، والجملة تقول «أعطيني خمس دقايق بس، اتسمع عالموسيقا، موسيقا» أن في هذه الدعوة؛ ربطة جديدة لكلمة التأمّل التي بدأنا بها المقال، فالموسيقا اليوم هي اللغة المحفّزة للتأمّل، بعيداً عن أرق نفسي أصابنا من كثرة السؤال والجواب اللذين لم نعد نقتنع بهما كفايةً، وكأنّنا ننتظر في كلّ يوم إجابة جديدة مختلفة، وأسئلة أخرى مغايرة، على الرغم من أنّنا ندور في فلك مبسّط هو مرتبط في معادلة مفادها: «عالج السبب تجد نتيجةً تريحك»، وليس أفضل من الصوت الفيروزي لإيصال هذه الرسالة.

ثنائيات وعناصر

اعتمد العرض على ثنائية ناجحة في تركيب معظم العروض المسرحيّة، وهي الثنائية التي ربطت بين اثنين، وحبيبين، وحرب وسلام، وجيلين، ونعم ولا، ورجل وامرأة، وغيرها من الثنائيات المترابطة، لكن ما زاد عرض هدنة عمقاً: هو العناصر ما بين الثنائيات تلك، فالعنوان هدنة وهو بين الحرب والسلم، والانتظار هو مرحلة بين الذهاب والعودة، وشخصيّة عمار الصامتة الضاحكة، من بين الشخصيات المتحدثة، وتعليق خمس خشبات جامدة إلى شمال المنصة، ودلالتها، وغيرها من العناصر التي زادت من صورة جماليّة عميقة للعرض عموماً.

احتراف

في النص لعبة متقنة جاءت في ترتيب المشاهد، وتكاملت مع الرؤية الإخراجيّة، فهناك فلسفة لمزج الأحداث مع بعضها، بين فعل التذكّر، ورواية الممثّل للحدث، وبين الاصطدام بالواقع، واللحظة التي نعيشها، وهذا احتراف ناجح بدلالة انسياق الجمهور مع العرض، وتخيل دخول باب شرقي في دمشق القديمة، والأماكن التي ألفتها الذاكرة، وصيحات البعض في إرشاد الممثل إلى المكان الصحيح، فهناك تقنيّة نجحت هنا بين ثالوث (كاتب، ومخرج، وممثل).

النصّ وما يشبه

النصّ لـ«عدنان الأزرُوني» الذي وجهنا له سؤالاً عن الحلّ الذي وصلت إليه مسرحيّة هدنة فكان الجواب: « عملياً المسرح لا يقدم حلاً، ولا أيّ نوع من أنواع الفنّ يقدم حلاً، لأن المسرح، والفنّ ببساطة، يشير إلى المشكلة، ولا يقدّم حلولاً لها، أمّا الإشارة إلى بنيّة العرض كمنتج فني يقدّم، فلدينا أنواع، فهناك أعمال نهايتها مفتوحة، وأخرى مغلقة، أو بين الاثنين المفتوح والمغلق، ولا يسعني الوقت هنا للخوض في هذه الناحية، وأودّ الإشارة هنا في عملنا إلى التحدّث عن زمانين الأوّل هو زمن الآباء، والثاني هو زمن الأبناء، ومجموعة من المشكلات مرّ بها أبناء الجيل الأوّل، وما زالت تؤثر على أبناء الجيل الثاني، فكنت أبحث نوعاً ما عن الأسباب والنتائج، وبعمق وفيما وراء الكلمة». وعن كيفيّة إيصال المغزى الذي يرمي إليه العرض قال الكاتب «عدنان الأزروني»: «إن أيّ عمل فني تتم عملية التلقي فيه على مستويات حسب طبيعة وظرف النص، وليس المطلوب أن يفهم كلّ المتلقين المستوى نفسه، فهناك من يتلقى على مستوى أوّل وثاني وثالث وإلى آخره، وهذا مرتبط بحسب ما يملك المتلقي من إرجاعات ثقافيّة، لكن ما أردته من العرض أن تصل فكرة هي أنّنا لدينا مشكلة حقيقيّة اليوم تتجلى ببناء الغد، فهناك جيل كامل من الشباب توقف عند هذه اللحظة، فماذا نحن فاعلون؟ فمن الضروري التنبيه إلى أن هذه الأزمة لها ارتكاسات في الماضي، حاولنا البحث فيها، ومن الضروري أن ننبه في هذه الأزمة أن من ينجدنا هو الحب، فنحن بحاجة كبيرة لوجود الحبّ في حياتنا، وإلى وقفة مع الذات أولاً، وما هو الآخر الضد، كي نقف على حلّ محكه الأساسي هو مصلحة البلد». في بعض المقاطع هناك فلسفة للعب على المشاهد، ونسيانها، ثم العودة إليها فجأة، وقد ينتابنا فكرة أن هذا الأسلوب يتشابه مع أسلوب مبدعين آخرين، وعن هذه النقطة أجابنا «عدنان أزروني»: «إن لامست هذا الشيء أو لا فأنا لم أفكر به، فقد كتبت هذا النص والتقى المخرج مع مجموعة الممثلين لكل منهم ظرفه وطريقة عمله وصولاً للعرض النهائي، فأنا لا اهتم ماذا يشبه. وطريقة الذهاب لمشهد ونسيان غيره برأيي هي طريقة تعمق الهوية الواحدة ككل وتعشق المشاهد مع بعضها ونخرج بحكاية أكثر تكاملاً، وأنا عموماً أكتب شيئاً يشبهني وكما أفكر».

الإخراج ورؤية أخيرة

كان الإخراج لـ«مأمون الخطيب»، وعن تقنيّة العمل، والاجتهاد في اختيار الممثلين، والتعب وصولاً للصورة النهائيّة، يقول: «إن أغلب الممثلين في العرض كان بيني وبينهم اشتراك في أعمال سابقة جمعتنا معاً، فقد وصلت في عملي من عشرين عاماً حتى اليوم إلى مجموعة بقيت على وجودها معي بما يسمى (ansambel) بمعنى الفرقة، وأهم الشروط التي اعتني بها لانتقاء الممثل على الخشبة هي أن يكون من خريجي المعهد العالي للفنون المسرحية، أو من في حكمهم من الموهوبين السوريين، إضافة إلى الالتزام الدائم، والأخلاق المهنيّة المرتبطة بقواعد العمل المهني المسرحي، وحب المسرح وتفضيله على أنواع الفنون الأخرى، وهذا كلفني جهداً كبيراً للوصول إلى هذا العرض، والتحضير كان قرابة شهرين ونصف الشهر للعمل». ولدى سؤالنا للمخرج مأمون الخطيب بين قارئ ومنفذ للنص المسرحي، وعن كيفيّة الموازنة بين جوهر ما أراده الكاتب والرؤية الإخراجية قال لنا: «النقطة الأهمّ هي عدم خيانة ما أراده المؤلف من النصّ، لكن حتى بالاتفاق مع الكاتب «عدنان أزروني» اعتمدنا الارتجال، وإضافة مشاهد، وأسطر وأفعال بما يتوافق مع الرؤية الفنيّة للإخراج الأخير للعرض، وبما يلزم، لأنه في النتيجة ستكون المسرحيّة هي الرؤية الإخراجيّة الأخيرة للمخرج، وبالتالي لم يكن هناك أيّ تعارض بيني وبين الكاتب، فقد اشتغلنا بمهنيّة وعلميّة، وهو كان يتابع ويحضر البروفات، ويبارك ما نقوم به». أمّا الجواب عن الحلّ الذي قدمته هدنة فأضاف «مأمون الخطيب»: الحلّ هو بعكس ما يشاع عن معنى الهدنة، فقد أردتها هدنةً تؤدي إلى سلام دائم، لكي نكمل بناء أنفسنا، ولو بالحبّ، فقد أحببت الإضاءة على جيل كامل من شبابنا، الذي يفقد أحلامه، وأعماله مع مرور الوقت، بسبب الحرب، لأنه جيل متعلم ويحمل الموهبة، فكما رأينا هو مهندس لديه توق لبناء بيته، لكنه مضطر للمشاركة بالحرب، لكننا أردنا إنهاء الحرب بالهدنة، والخروج منها لسلام دائم لبناء سورية ومستقبلها».

النهاية

يذكر أن العمل يقدم في مسرح الحمرا برعاية وزارة الثقافة – مديرية المسارح والموسيقا، وراديو شام (FM) وهو من تمثيل: رنا جمّول، وغسان الدبس، ولينا حوارنة، وأسامة تيناوي، وجمال نصار، ونسرين فندي، ويامن سليمان. أمّا الموسيقا فكانت لطاهر ماملي، والسينوغرافيا لأحمد يوسف، والإضاءة لريم محمد، والأزياء لهشام عرابي والفوتوغراف ليوسف بدوي والغرافيك والملتيميديا لأمجد ممدوح بربور ومساعد المخرج رامي السمان ومدير المنصة عمر فياض والمكياج لريما عرابي والصوت لفؤاد عضيمي وتنفيذ الإضاءة لعماد حنوش وتنفيذ فني للديكور ليامن حمشو.

القناعة كنز.... يفنى؟

الحياة لا تعطينا كل ما نحب... ولكن القناعة تعطينا كل الحياة

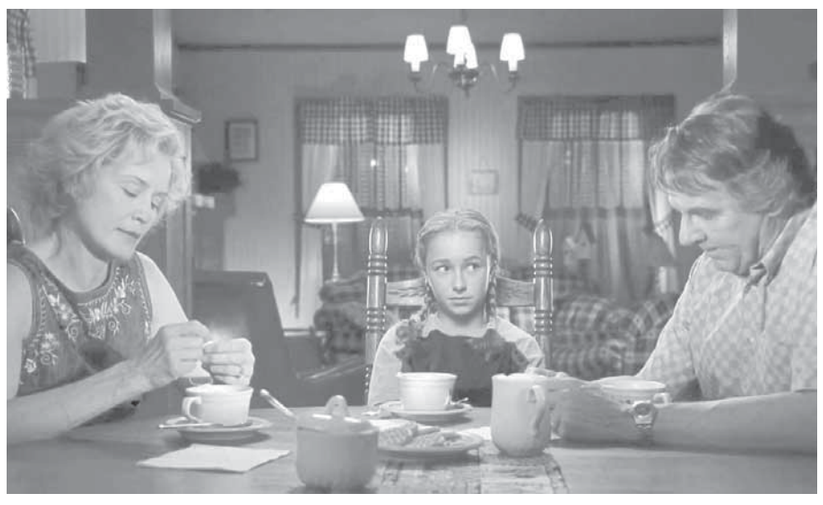

ديالا غنطوس

عندما نخلد إلى ذاتنا كل يوم وفي لحظة صدق وأنانية، ننظر إلى الآخرين وما يملكون ونتساءل.. لماذا لم أولد غنياً، لماذا لم أخلق جميلة؟ ما سبب امتلاك صديقي ما ليس لدي وبماذا يتميز الآخرون عني ليحصلوا على أشياء وأحوال لم يهبني الله إياها، هل الحظ نعمة لأناس مميزين والنحس نقمة لآخرين أقل تميزاً؟ وكما يقول المثل الشعبي «المنحوس منحوس ولو وضعوا فوق رأسه فانوس»، أين القناعة كلها من تساؤلاتنا الصامتة والتي لا نجرؤ على الإفصاح عنها والبوح كي لا نتهم بالحسد، وفي حقيقة الأمر لا توجد قناعة تامة صافية، فغالباً ما ننظر إلى ممتلكات الآخرين بشغف ورغبة أن تكون لنا، ونعود إلى القناعة على مضض، فما باليد حيلة، وكما تقول إحدى الحكم «في العالم كثيرون من يبحثون عن السعادة وهم متناسون فضيلة القناعة» ومن وحي الإيمان «طوبى للقنوعين فإنهم سعداء الأرض».

أرض السعداء بقناعتهم، قد يصفها أحدنا متهكماً بأنها أشبه بالمدينة الفاضلة التي كانت أحد أحلام الفيلسوف أفلاطون، يكون كل شيء فيها معيارياً بحيث يضمن اقتناع الناس ورضاهم بما لديهم، لكن من قال إن معيارية الحياة وكمالها هما دوماً أساس الرضا؟ قد تدبّ القناعة في نفس شخص ابتلي بكل ما أنزل الله من مصائب ومحن وفقدان، ومن صُلب بلواه وقنوطه من تغير الحال لحال آخر، تأتي القناعة التي تؤمّن له القدرة على قَبول الواقع كما هو والتصميم على تحسينه واجتياز الملمّات، وكمثال لما سبق، نرى فيلم «السعي للسعادة» المبني على قصة حقيقية لـ«كريستوفر غاردنر» للمخرج غابرييل موتشينو ومن بطولة الممثل ويل سميث الذي أدى دور كريس، الرجل الذي يحاول بشتى الوسائل توفير سبل الراحة والحياة الكريمة لعائلته الصغيرة، استثمر كريس كل مدخرات عائلته في أجهزة طبية محاولاً بيعها للأطباء، لكن عدم قدرته على ترويج تلك الأجهزة أدى إلى وقوعه في ضائقة مالية، تسببت بهجر زوجته له وانتقالها للعيش في المدينة، تاركة خلفها ابنها كريستوفر ليعيش مع والده، فيكرس نفسه للاهتمام بابنه، لكن الوضع يتأزم بعد حجز حسابه البنكي بسبب عدم تمكنه من دفع الضرائب المستحقة، ويتم طرده هو وابنه من المنزل لعدم تمكنه من دفع الإيجار، ليصبحا بلا مأوى، وقد وصل بهم التشرد لحد البقاء لفترة في أحد حمامات محطة مترو الأنفاق، قبل أن يلجأ لإحدى الكنائس التي أمنت له غرفة مؤقتة بظروف معيشية يرثى لها، لكن من خلال قناعته بما يملك من موهبة وإمكانات، وما تبقى لديه من مقومات للنهوض من جديد، يسعى بكل تصميم للحصول على وظيفة جديدة كسمسار في البورصة، وبالرغم من وجوب خضوعه لستة أشهر من التدريب بلا أجر يتنافس خلالها مع متدربين آخرين قبل تعيين أحدهم، إلا أن إصراره المترافق مع المعاناة يمكنه من النجاح والوصول لهدفه وللسعادة التي لم يفقد يوماً قناعته بإمكانية بلوغها.

وفي الجهة المقابلة، نصادف قصصاً شتى لأناس لم يستكينوا لظروفهم ولم يستسلموا لفقدانهم القناعة بما هم عليه من حال، فقرروا الانقلاب على الواقع ونسف كل شيء قائم واستبداله بجديد، يصل الأمر ببعضهم لدرجة تغيير ذواتهم وأساس تكوينهم، كما في القصة التي رواها فيلم «طبيعي Normal» عام ٢٠٠٣ للمخرج جين أندرسون والممثلين القديرين جيسيكا لانج وتوم ويلكينسون، حيث إنه بعد مرور ٢٥ عاماً من الزواج الهانئ المستقر، يصارح روي زوجته إيرما بأنه امرأة من الداخل وشاء الحظ العاثر أن يخلق بجسد رجل، وبأنه ينوي القيام بعملية لتبديل الجنس، الأمر الذي سبب له إحراجاً أمام بعض من زملائه في العمل وعرّضه لانتقادات جمة في الوسط الاجتماعي المتدين الذي يعيشون به، إلا أن دعم وتفهّم زوجته وابنته وبعض الأصدقاء كان عاملاً مشجعاً له ليحقق ما يرضيه وما هو على قناعة تامة به.

«أشعر بالرضا عن نفسك، بغضّ النظر عن الظرف الصعب الذي تجلبه الحياة، استقبله بأذرع مفتوحة، وتذكر أنه مؤقت وأنّ لديك القدرة أن تواجه وتقاوم»، هذه الحكمة هي خلاصة قصة الفيلم الإيطالي «الحياة جميلة Life Is Beautiful» الذي تدور أحداثه في ثلاثينيات القرن الماضي ويروي التجربة التي عاشها غويدو، اليهودي الإيطالي، الذي يملك متجراً للكتب في مدينة أريزو، ويعيش مع زوجته وطفله الوحيد ذي السنوات الخمس حياة لم يعكر صفوها شيء، قبل وصول القوات الألمانية لإيطاليا خلال الحرب العالمية الثانية ودخولهم لمدينة أريزو التي يعيش بها، ليتم اقتيادهم حينها إلى معسكر الاعتقال ويتم الفصل بين الزوجة وزوجها فكل منهما يساق إلى قسمين أحدهما مخصص للرجال وآخر للنساء، فيحتفظ غويدو بابنه بصحبته ويخبره بأن كل ذلك عبارة عن لعبة يلعبونها وعليهم اجتياز مراحلها بنجاح، وخلال اللعبة عليهم محاولة الهرب بحذر من المخيم مع والدته، وأن كل خطوة صحيحة يخطونها تكسبهم نقاطاً إضافية والعكس صحيح بأن الحسابات الخاطئة قد تؤدي إلى استبعاد أحدهم من اللعبة، وهدفه من كل ذلك كان إنقاذ عائلته من المخيم من دون اكتشاف الألمان لما يقوم به مع ابنه، وابتدع غويدو الأساليب البارعة من خلال قناعته التامة بأن الهولوكوست ما هو إلا لعبة، وأن الجائزة المرجوة هي الخلاص والبقاء على قيد الحياة، فكانت نتيجة تلك القناعة الراسخة بقدرته على التخطيط والتنفيذ أنه كسب ذاك الرهان ونجا بأعجوبة بعائلته التي تمكن بشق النفس من الوصول بها إلى بر الأمان.

نصادف في مسار حياتنا اليومية كثيراً من الناس المنكوبين والغارقين بالفقر والعوز، ومنهم من يفتقد أبسط مقومات العيش الكريم التي يعتبرها بعضنا من البديهيات التي تستحيل الحياة من دونها، وفي ذات الوقت نرى البسمة مرسومة على شفاههم، وفي روحهم إصرار وفي أعماقهم أمل، مقتنصين أي لحظة سعادة عابرة، متحلين بصبر ناتج عن قناعة لا يملكها من أتى الدنيا وفي فمه ملعقة من ذهب، فالقناعة تولد من رحم الرضا والتسليم بما هو مكتوب ومحتوم، بعد الأخذ بالأسباب وبذل ما يمكن من جهد لتغيير ما هو واقع مفروض.